Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 9, No. 2, (Issue 18) Spring & Summer 2026: 81-96
DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514

ORIGINAL ARTICLE

From Clay to the Breath of the Spirit: The Formative Structure of the Human Being in the First Sermon of Nahj al-Balaghah and the Views of Shi'i and Sunni Exegetes

Yaser Khalil Ibrahim Al-Saeidi[1*], Kazem Ghazizadeh[2], Kavous Roohi Barandagh[3]

1. Department of Qur'an and Hadith Sciences, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
2. Department of Qur'an and Hadith Sciences, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
3. Department of Qur'an and Hadith Sciences, Faculty of Humanities, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran.

Correspondence:
Yaser Khalil Ibrahim Al-Saeidi
Email:
alyasser.2013.25@gmail.com

Received: 27 Aug 2026
Accepted: 29 Aug 2026

How to cite
Al-Saeidi, Y.KH.E, Ghazizadeh, K. Roohi Barandagh, K. (2026) From Clay to the Breath of the Spirit: The Formative Struc-ture of the Human Being in the First Sermon of Nahj al-Balaghah and the Views of Shi'i and Sunni Exegetes. *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*, 9(2), 81-96.
(DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514)

ABSTRACT

The first sermon of Nahj-ul-Balaghah presents the creation of Adam in a compact sequence that begins with heterogeneous earth, passes through moistening, adhesion, shaping, and solidification, and culminates in the divine attribution of the spirit and the emergence of cognition, perception, and moral discernment. This study reconstructs the internal architecture of that sequence and compares it with representative Imami and Sunni exegeses of the Qur'anic creation passages. It adopts a descriptive-analytical and comparative method, combining semantic analysis with controlled intertextual reading of Q. 15:26–29, 23:12–14, 32:7–9, 38:71–72, and 55:14. The study argues that the sermon does not merely repeat dispersed Qur'anic expressions. It reorganizes them into an integrated formative model comprising three layers: material substrate, measured formation, and qualitative transition into a responsible human subject. The comparative evidence reveals a broad cross-school consensus: Adam's earthly origin, the created nature of the human spirit, the honorific meaning of its attribution to God, and the relation between the spirit and human capacity. Differences appear primarily in explanatory method and emphasis, not in the core structure of creation. The sermon's distinctive contribution lies in linking bodily formation directly to an anthropology of mind, senses, practical agency, and the ability to distinguish truth from falsehood. Thus, the passage offers a theological anthropology grounded in finitude and dignity at once: the human being remains "clay" in composition while becoming a knowing and accountable subject through the divine gift of life.

KEYWORDS

Nahj-ul-Balaghah; First Sermon; Human Creation; Clay; Breath of the Spirit; Shi'i and Sunni Exegesis; Comparative Tafsir.

Copyright © 2026 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة التاسع، العدد الثاني (المتوالي ١٨) ربيع و صيف، ١٤٠٥ش/ ١٤٤٨ق. (٨١-٩٦)

DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514

«مقاله پژوهشی»

من الطين إلى نفخة الروح: البنية التكوينية للإنسان في الخطبة الأولى من نهج البلاغة وآراء مفسري الفريقين

ياسر خليل ابراهيم السعيدي[1*]، كاظم قاضي‌زاده[2]، كاوس روحي برندق[3]

١. قسم علوم القرآن والحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران.

٢. قسم علوم القرآن والحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران.

٣. قسم علوم القرآن والحديث، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران.

المؤلف المسؤول:
ياسر خليل ابراهيم السعيدي

بريد االكتروني:
alyasser.2013.25@gmail.com

تاريخ القبول: ١٤٤٨/٠٣/١٤
تاريخ الاستلام: ١٤٤٨/٠٣/١٦

إرسال الاستشهاد إلى:
السعيدي، ياسر ياسر خليل ابراهيم؛ قاضي‌زاده، كاظم و روحي برندق، كاوس. (١٤٤٨). من الطين إلى نفخة الروح: البنية التكوينية للإنسان في الخطبة الأولى من نهج البلاغة وآراء مفسري الفريقين. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٩(٢)، ٨١-٩٦.
(DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514)

المخلص

تقدِّم الخطبة الأولى من نهج البلاغة مشهدَ خلق آدم في نسقٍ متدرّج يبدأ من تربةٍ جُمعت من مختلف الأرض، ويمرُّ بالمزج بالماء واللزوجة والتصوير والتجفيف والتصلُّب، وينتهي بنفخ الروح وظهور الإنسان العاقل المدرك المكلَّف. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن هندسة هذا النسق، وبيان علاقته بالآيات القرآنية الموزَّعة في سور الحجر والمؤمنون والسجدة وص والرحمن، ثم مقارنته بقراءات ممثِّلة لمفسِّري الإمامية وأهل السنّة. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، مع الإفادة من التحليل الدلالي والتناصّ التفسيري، وحصر مادته في مقطع الخلق من الخطبة الأولى وما يتصل به مباشرة من نصوص التفسير. وتوصل إلى أن الخطبة لا تكتفي بجمع مفردات الخلق القرآنية، بل تعيد تنظيمها في بنية تكوينية ذات ثلاث طبقات: المادة الأرضية، والتسوية المقدَّرة، والتحول النوعي إلى ذاتٍ إنسانية. كما كشف أن مساحة الاتفاق بين مفسري الفريقين أوسع من مساحة الاختلاف؛ فقد اتفقوا في الأصل الترابي لآدم، وفي خلق الروح، وفي أن إضافتها إلى الله إضافة تشريف وملك لا إضافة جزء، وفي اقتران النفخ بظهور الحياة والقدرة الإنسانية. أما الاختلاف فغالباً ما يرجع إلى منهج البيان ودرجة التوسع الكلامي أو الفلسفي أو البلاغي. وتتمثل فرادة الخطبة في وصل التكوين الجسدي مباشرة بوظائف الذهن والفكر والحواس والعمل والتمييز الأخلاقي، فتقدِّم أنثروبولوجيا توحِّد بين تواضع المنشأ ورفعة المسؤولية. وتؤكد هذه النتيجة وحدة الأصل الإنساني وتنوّع قابلياته المعرفية والأخلاقية.

الكلمات الدليلية:
نهج البلاغة؛ الخطبة الأولى؛ خلق الإنسان؛ الطين؛ نفخة الروح؛ التفسير المقارن؛ مفسرو الفريقين.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٨. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدّمة

ليس الحديث عن خلق الإنسان في النص الديني حديثاً عن مادته الأولى فحسب؛ لأن سؤال «مِمَّ خُلق؟» لا ينفصل عن سؤالين أشد اتصالاً به: «كيف صار إنساناً؟» و«بماذا استحق أن يكون مخاطَباً ومكلَّفاً؟». ولهذا تتوزع آيات الخلق في القرآن الكريم بين بيان الأصل الأرضي، وتصوير أطوار التسوية، والإخبار عن نفخ الروح، وربط ذلك بالسمع والبصر والفؤاد. أمّا الخطبة الأولى من نهج البلاغة فتجمع هذه الجهات في مشهد واحد بالغ الكثافة، ينتقل بالقارئ من تضاريس الأرض واختلاف تربتها إلى الذهن والفكر والمعرفة والتمييز بين الحق والباطل. إنّها حركة دلالية من المادة التي تُعالج إلى الذات التي تعقل وتعمل؛ ومن هنا تنبع قيمتها في بناء تصور إسلامي متكامل عن الإنسان.

يقول الإمام عليّ (عليه السلام) في وصف هذا التكوين: «ثم جمع سبحانه من حَزْن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربةً سنَّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبِلّة حتى لزبت، فجبل منها صورةً ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام والألوان والأجناس...» (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ: الخطبة ١، ص٤٣). يلفت ترتيب الأفعال في هذا النص إلى أن كل مرحلة تُعدّ لما بعدها: الجمع يسبق المزج، والمزج يسبق الجبل، والجبل يسبق الاستمساك والصلصلة، ثم تأتي «ثم» قبل نفخ الروح لتعلن انتقالاً لا يُختزل في استمرار التحولات المادية.

تنطلق مشكلة البحث من أن هذا المقطع يُقرأ غالباً بطريقتين جزئيتين: قراءة وعظية تقف عند عظمة الخالق، أو قراءة معجمية تفكك ألفاظ الطين من غير أن تعيد بناء علاقتها بوظائف الإنسان الواردة في خاتمة المقطع. وتبقى الحاجة قائمة إلى قراءة تكشف «البنية التكوينية» للنص، أي النظام الذي ترتبط فيه المادة والمرحلة والزمن والتحول والوظيفة، ثم تختبر مدى التقائه مع تفسيرات الفريقين للآيات الموازية. وبناءً على ذلك يجيب البحث عن الأسئلة الآتية: ما المراحل التي ينظم بها مقطع الخطبة الأولى مشهد الخلق؟ ما الدلالة التي يؤديها الانتقال من الطين إلى نفخة الروح؟ أين تتفق قراءات الإمامية وأهل السنّة وأين تختلف؟ وما الإضافة الأنثروبولوجية التي يقدّمها كلام الإمام إلى جانب البيان التفسيري للآيات؟

وتقوم فرضية البحث على أن الخطبة تصوغ من مفردات قرآنية متفرقة نموذجاً مترابطاً يمكن اختزاله في السلسلة الآتية: أرض مختلفة ⟵ ماء ومزج ⟵ صورة وتسوية ⟵ زمن مقدَّر ⟵ نفخ الروح ⟵ إدراك وعمل وتمييز. وليست قيمة هذا النموذج في ترتيب مراحل الخلق فقط، بل في إظهار أن اكتمال الصورة الجسدية لا يساوي بعدُ ظهور الإنسان بوصفه ذاتاً واعية؛ فالإنسان في منطق الخطبة هو اجتماع بين بنية أرضية محدودة وقابلية روحية تُثمر المعرفة والمسؤولية.

وتتجلى أهمية الدراسة في أمرين. الأول أنها تعالج نصاً مركزياً من نصوص نهج البلاغة في ضوء «العلوم الداخلية» للنص، من خلال تحليل معجمه وتركيبه وتسلسل صوره، وفي ضوء العلوم المحيطة به، من خلال التفسير المقارن وعلم الكلام والبلاغة. والثاني أنها تستثمر مساحة الاشتراك بين المدرستين التفسيريتين من دون تذويب خصائصهما؛ فالمقارنة المقصودة ليست إحصاءً لأقوال كثيرة، بل تحديد لنقاط الإجماع، ثم تفسير مواضع التفاوت المنهجي في فهم الصلصال والتسوية والروح ووظائف الإنسان.

خلفيّة البحث

تناولت دراسات حديثة ألفاظ خلق الإنسان في نهج البلاغة أو درست الخطبة الأولى من زاوية أسلوبية، غير أن لكل منها مجالاً يختلف عن مجال هذا البحث. فقد أحصى الكناني الألفاظ الدالة على أطوار الخلق، وبيّن قيمتها السياقية وتنوّع صيغها في نصوص الكتاب، فكانت عنايته موجّهة إلى الحقل المعجمي العام وإلى حضور أطوار الخلق في أكثر من موضع (الكناني، ٢٠٢٣م: ١٠٢.٧٩). وهذه الإفادة المعجمية مهمّة، لكنها لا تستقصي نظام العلاقات بين المراحل في المقطع الأول، ولا تقارنه بصورة منهجية بتفاسير الفريقين.

ودرس عموري وفاضل «الأسلوبية في الخطبة الأولى للإمام علي عليه السلام»، فحلّلا مستويات من الإيقاع والدلالة والبنية، وأظهرا ما في الخطبة من كثافة صوتية وتصويرية (عموري وفاضل، ٢٠١٨م: ٢٧١.٢٩٠). غير أن غرض الدراسة الأسلوبية أوسع من مشهد خلق آدم، ولم تتخذ من اختلاف المناهج التفسيرية مادةً للموازنة. واتجهت دراسات أنثروبولوجية أخرى إلى صورة الإنسان المثال أو الإنسان المسؤول في نهج البلاغة، أي إلى الإنسان بعد دخوله مجال الأخلاق والسياسة، لا إلى لحظة تكوين قابلياته الأولى (عمران، ٢٠٢٣م: ٨٩.١١٢).

وتقدّم بحوث منشورة في هذه المجلة سوابق منهجية قريبة من موضوع الدراسة من غير أن تطابق سؤالها. فقد تناول حدادي ودرودگريان رواية خلق آدم وإبليس في الخطبة القاصعة من منظور السرديات المعرفية، فتركّز بحثهما على بناء نموذج التكبر والعوالم الممكنة لا على أطوار التكوين في الخطبة الأولى (حدادي ودرودگريان، ٢٠٢٢م: ٦٣.٧٥). كما درست فياض وآخرون علاقات التناص القرآني في الخطبة ١٠٩ في مجال الأسماء والصفات الإلهية (فياض وآخرون، ٢٠٢١م: ٧١.٨٤)، ودرست نجاتي وآخرون النفي المتوازي بين القرآن والرسالة ٤٥ (نجاتي وآخرون، ٢٠٢٢م: ٤٧.٥٩). وتثبت الدراستان الأخيرتان صلاحية التحليل التناصي في قراءة نهج البلاغة، لكنهما لا تعالجان مشهد خلق الإنسان ولا تقارنان بنيته بآراء مفسري الفريقين.

أمّا شروح نهج البلاغة القديمة، وفي مقدمتها شرحا ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني، فقد قدّمت مادة تفسيرية نفيسة للمقطع، ولا سيما في معنى الروح والأذهان والأخلاط، إلا أنها لم تُنشأ بطبيعتها وفق سؤال مقارن بين مدارس التفسير القرآني. من هنا يتحدد وجه الجدة في هذا البحث في ثلاثة أمور متصلة: إعادة بناء المقطع بوصفه بنية لا قائمة مفردات؛ ومقارنة هذه البنية بقراءات ممثلة للمدرستين حول الآيات نفسها؛ ثم استخراج ما تضيفه الخطبة إلى علم الإنسان القرآني حين تجعل الوظائف العقلية والحسية والأخلاقية نتيجةً مباشرة لاكتمال التكوين.

منهجيّة البحث

يعتمد البحث منهجاً وصفياً تحليلياً مقارناً. يبدأ بتحليل العلاقات الدلالية والنحوية بين أفعال المقطع وأسمائه، ثم يردّ كل مجموعة منها إلى نظائرها القرآنية، وبعد ذلك يقرأ أقوال مفسرين ممثلين للإمامية: الشيخ الطوسي، والطبرسي، والعلامة الطباطبائي؛ ولمفسري أهل السنّة: الطبري، والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عاشور. وقد اختير هؤلاء لتنوّع مناهجهم بين الرواية واللغة والكلام والبلاغة والنظر الفلسفي، لا على دعوى استيعاب جميع المفسرين.

ويُراد بـ«البنية التكوينية» في هذه الدراسة: انتظام العناصر والمراحل والتحولات والوظائف داخل الخطاب، لا تقديم وصف تجريبي لآليات نشأة الجسد، ولا تحميل النص مصطلحات علم الأجنة الحديث. كما يُراد بـ«الإنسان» في العنوان آدم بوصفه المثال الأول للأصل الإنساني؛ فالمقطع يصف خلقه المباشر، ثم يكشف في وظائفه عن السمات العامة التي بها يكون الإنسان إنساناً. أما «نفخ الروح» فيُبحث ضمن اللغة القرآنية والكلامية، لا بوصفه مفهوماً قابلاً للقياس المخبري.

وتنحصر الآيات المركزية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩؛ ص: ٧٢]، وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ... ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [السجدة: ٧.٩]، مع الإفادة من [المؤمنون: ١٢.١٤] و[الرحمن: ١٤].

نتائج البحث

خريطة التناصّ القرآني ووحدة المشهد

لا تَرِد قصة خلق آدم في القرآن ضمن سرد واحد يستوفي جميع العناصر؛ بل تتوزع مفرداتها بحسب المقام. ففي سورة الحجر يبرز التناسب بين أصل آدم الطيني واعتراض إبليس، فتأتي ألفاظ «الصلصال» و«الحمإ المسنون» تمهيداً للامتحان بالسجود [الحجر: ٢٦.٣٣]. وفي سورة ص يتقدم إعلان الخلق من الطين والتسوية والنفخ على سؤال إبليس عن سبب الاستكبار [ص: ٧١.٧٦]. وفي

سورة السجدة يتصل بدء الخلق من طين بجعل السمع والأبصار والأفئدة، فيتحول الاستدلال من الأصل إلى نعمة الإدراك [السجدة: ٩.٧]. أمّا سورة الرحمن فتستدعي صورة الصلصال كالفخار داخل تعداد النعم ودلائل القدرة [الرحمن: ١٤]. إن اختلاف السياقات يفسر اختلاف زاوية العرض، ولا يقتضي تعدد قصص الخلق أو تعارض موادها.

تقرأ الخطبة الأولى هذه الشبكة القرآنية قراءة تركيبية. فهي تستحضر ثنائية السهل والحزن وتنوع الأرض، ثم تفصل انتقال التربة بالماء نحو اللزوجة والتصوير، وتصل إلى الصلصلة، ثم تعطف النفخ على التسوية، وأخيراً تذكر الذهن والحواس والأفئدة الوظيفية. ولهذا لا يصح البحث عن «آية واحدة» تقابل المقطع كله؛ فالمقابل الحقيقي هو حقل من الآيات أعادت الخطبة نظمه في سياق التحميد وبيان القدرة. والمقصود بالتناص هنا ليس اقتباس ألفاظ فحسب، بل اشتغال الذاكرة القرآنية في ترتيب المشهد وتوجيه نتيجته.

وتؤدي هذه الوحدة وظيفةً تأويلية. فالقرآن يفسر الخطبة بمنح مفرداتها أصولها وضوابطها: الصلصال طور من المادة، والتسوية إعداد، والروح مضافة إلى الله تشريفاً، والحواس من آثار الخلق. والخطبة، في المقابل، تساعد على قراءة الآيات بوصفها أجزاء مسار واحد: ما جاء في الحجر من مادة، وما جاء في ص من تسوية ونفخ، وما جاء في السجدة من سمع وبصر وفؤاد، تتصل جميعاً في حركة من الانفعال إلى الإدراك. وهذا تبادل في الإضاءة لا يساوي بين رتبة القرآن ورتبة الشرح، بل يجعل القرآن المرجع الحاكم والخطبة بياناً بليغاً يستمد منه بنيته.

ومن ثمرات هذه الخريطة أنها تضبط حدود التأويل. فما يثبت بالنصوص المتضافرة—الأصل الأرضي، والتسوية، والنفخ، والإدراك—يمثل مركز البنية. وما يرد في بعض الأخبار من أرقام أو حوادث جزئية يبقى في هامش يحتاج إلى تقويم مستقل. كما تمنع الخريطة انتزاع «من روحي» من سياقها؛ إذ يسبقها فعل الخلق والتسوية ويتبعها السجود أو ذكر الحواس، فيكون معناها تكريم المخلوق وإقداره، لا إلغاء الفاصل بين الخالق والمخلوق.

هندسة المشهد التكويني في الخطبة الأولى

اختلاف الأرض ووحدة التربة

تبدأ الخطبة بفعل الجمع: «جمع سبحانه من حَزْن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها». والحَزْن ما غلظ من الأرض، في مقابلة السهل؛ والسَّبَخ ما غلبت عليه الملوحة أو لم يصلح للإنبات، في مقابلة العذب (ابن منظور، ١٤١٤هـ: مادتا «حزن» و«سبخ»). لم يقل النص إن الإنسان خُلق من موضع أرضي واحد متجانس، بل من أقطاب متباينة جُمعت في «تربة» واحدة. وإسناد الجمع إلى الله يفيد أن التعدد ليس اضطراباً سابقاً على الخلق، وإنما مادة مدبَّرة تدخل في وحدة مقصودة.

ويجد هذا التصوير سنداً تفسيرياً في الحديث المروي عن أبي موسى الأشعري: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض؛ جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب» (أبو داود، د.ت: ح٤٦٩٣؛ الترمذي، ١٣٩٥هـ: ح٢٩٥٥). ووصف الترمذي الحديث بأنه حسن صحيح. ولا يلزم من المقابلات الواردة فيه تثبيت حكم أخلاقي على لون أو قوم؛ فمقصوده الأظهر تفسير التنوع الإنساني بتنوع المادة التي منها خُلق الأصل الأول، مع إبقاء التكليف والعمل معياراً للقيمة. لذلك ينبغي ألا تتحول صورة «التربة المختلفة» إلى حتمية عرقية أو مزاجية.

تؤدي المقابلات في الخطبة وظيفتين. الأولى تصوير سعة القدرة التي تؤلف بين المتباينات. والثانية تأسيس فهم للإنسان بوصفه كائناً مركباً قابلاً لأحوال مختلفة. ويؤكد آخر المقطع هذه الوظيفة بقوله: «معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحر والبرد، والبلة والجمود، والمساءة والسرور» (الشريف الرضي، ١٣٨٧هـ: الخطبة ١، ص٤٣). فالبداية الجغرافية تعود في النهاية على هيئة أنثروبولوجية: اختلاف في المكونات، وتجاور في القوى، وتقلب بين حالات جسدية ونفسية.

وقد قرأ ابن أبي الحديد «طينة الألوان المختلفة» في ضوء المزاج المركب من الكيفيات المتقابلة، ورأى في تعداد الحر والبرد والبلة والجمود بياناً لبنية البدن المركبة (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨هـ: ١/١٠٠). ووسّع

ابن ميثم البحراني الدلالة إلى اختلاف الاستعدادات والألوان والأمزجة، مع ربط ذلك بما يترتب على التركيب من قوى إدراكية وانفعالية (البحراني، ١٤٢٠هـ: ١٩٠.١٨٩/١). وعلى الرغم من استعمال الشارحين لغة الطب الطبيعي في عصريهما، يبقى لبّ الدلالة النصية مستقلاً عنها: الإنسان وحدة ناشئة من تعدد، وتوازنه لا يعني محو أضداده بل انتظامها.

الماء: من التفكك إلى القابلية للتشكيل

بعد الجمع ينتقل النص إلى معالجة التربة: «سنَّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت». تتابع «حتى» في الجملتين يحدّد غاية كل فعل؛ فالماء ليس عنصراً مضافاً عرضاً، بل أداة انتقال من ذرّات متفرقة إلى مادة خالصة متماسكة. و«لاطها» يفيد الإلصاق والخلط، و«لزبت» صارت لاصقة شديدة التماسك (ابن منظور، ١٤١٤هـ: مادتا «لوط» و«لزب»). وهكذا يتغير نظام المادة قبل أن تتغير صورتها: لا تصوير من غير قابلية للتصوير.

تتجاوب هذه المرحلة مع تنوع التعبير القرآني: «تراب»، و«طين»، و«حمإ مسنون»، و«صلصال». ولا يلزم فهم هذه الألفاظ على أنها أخبار متعارضة؛ إذ يمكن أن تصف المادة بحسب أصلها أو حالتها في مراحل متعاقبة. فالتراب قبل الماء، والطين بعد امتزاجه به، والحمأ يصف الطين المتغير، والصلصال يصف ما جفّ حتى صار له صلصلة. هذا هو الاتجاه الذي تتساند فيه قراءات عدد من المفسرين، وإن اختلفوا في بعض التفصيلات الزمنية واللغوية (الطبري، ١٤٢٢هـ: ٦٦.٥٦/١٤؛ الطوسي، د.ت: ٣٣٣.٣٢٨/٦؛ ابن كثير، ١٤٢٠هـ: ٥٣٥.٥٣٣/٤).

والخطبة لا تستخدم «الحمإ المسنون» في هذا الموضع، لكنها تفكّك الحركة التي تنقل التربة نحو الطين اللازب، ثم نحو الصلصال. بذلك تحوّل الأسماء القرآنية إلى أفعال مشهودة: سنَّ، ولاط، ولزب، وجبل، وأجمد، وأصلد، وصلصل. وهذه سمة مركزية في أسلوبها؛ فبدل أن تعرض «مواد» متجاورة، تعرض مساراً تتحول فيه المادة تحت فعل الخالق. إنّ كثافة الأفعال الماضية توحي بالإنجاز والإحكام، بينما تحدد الغايات المتعاقبة مسافة كل طور.

الصورة والأعضاء والفصول: التسوية قبل الحياة الإنسانية

يأتي بعد تماسك الطين قوله: «فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول». والفاء تفيد اتصال التصوير بما سبقه؛ أما «جبل» فتدل على الخلق والتشكيل على هيئة مقدرة. ولا يقف النص عند «صورة» مجملة، بل يذكر الانثناءات والاتصالات والأعضاء والمفاصل، فينقل النظر من كتلة الطين إلى بنية جسمية ذات تمايز داخلي. وهذا هو معنى التسوية في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾؛ أي إتمام خلقه وتعديل أعضائه على الوجه الملائم لفعلها (الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ: مادة «سوي»؛ الرازي، ١٤٢٠هـ: ٢٢٨/٢٦؛ الطباطبائي، ١٤١٧هـ: ٢٢٤/١٧).

لكن الخطبة تفصل بوضوح بين كمال الصورة وبين ظهور الإنسان الحي العاقل. فالصورة «ذات أعضاء» قبل النفخ، ومع ذلك لا توصف بعدُ بالذهن أو الفكر أو المعرفة. وهذا الفصل ضروري لفهم منطق النص: اكتمال البنية شرط قريب للحياة الإنسانية، لكنه ليس عينها. وتساعد العبارة على تجنب اختزال الإنسان في الشكل؛ لأن الصورة المكتملة تظل في مستوى الاستعداد إلى أن تقع النقلة المشار إليها بـ«ثم نفخ فيها من روحه».

ومن الناحية البلاغية، تتجاور في هذه المرحلة ألفاظ الانحناء والاتصال والفصل، فتقدّم الجسد بصفته نظام علاقات: ما ينثني، وما يصل، وما يستقل بوظيفة، وما يسمح بالحركة. وهذا الترتيب يمهّد للقائمة الوظيفية بعد النفخ: جوارح يُخدم بها، وأدوات تُقلّب. فالأعضاء قبل الروح بنية، وبعدها أدوات فعل. إن تغير زاوية الوصف من «أعضاء وفصول» إلى «جوارح وأدوات» يبيّن أن الحياة لا تضيف حركة فحسب، بل تدخل البنية في مجال القصد والاستعمال.

الاستمساك والصلصلة والزمن المقدَّر

يتابع النص: «أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود وأمد معلوم». الاستمساك غاية التجمد، والصلصلة نتيجة التصلب والجفاف؛ والصلصال هو الطين اليابس الذي يُسمع له صوت إذا نُقر (ابن منظور، ١٤١٤هـ: مادة «صلصل»). وتلتقي العبارة مباشرة بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾

[الرحمن: ١٤]. غير أن التشبيه القرآني بالفخار لا يقتضي أن الجسد أُدخل ناراً، بل يبرز هيئة الجفاف والصوت؛ ومن هنا تحاشى المفسرون المعتبرون بناء تفاصيل لا يدل عليها اللفظ.

الأكثر دلالةً في الخطبة أن الجفاف لا يعقبه النفخ فوراً من غير قيد، بل ترد عبارة «لوقت معدود وأمد معلوم». الزمن هنا جزء من التدبير، لا فجوة خالية بين فعلين. وهو «معدود» من جهة الحد، «معلوم» من جهة إحاطة العلم الإلهي. لا يحدد النص مقدار المدة، ولذلك يكون الوفاء بمنهجه في إثبات أصل التقدير دون ادعاء رقم لا يقوم عليه دليل صحيح. وما ورد في بعض الأخبار من مقادير متباينة لا يصلح لأن يُجعل محور البنية، ولا سيما مع اختلاف الأسانيد والطرق.

وتكشف هذه العبارة وجهاً مهماً من الخلق في الخطبة: القدرة الإلهية لا ينافيها التدرج. فالفعل الذي يمكن أن يقع دفعةً جرى على أطوار معلومة، ليظهر الإحكام وعلاقة الأسباب بالمسببات. وقد نبه الرازي، عند جمع آيات الطين والتسوية والنفخ، إلى إمكان حمل اختلاف الأوصاف على اختلاف الأحوال، لا على التناقض (الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٨٢.١٨١/١٩). وعلى هذا، لا تكون المراحل دليلاً على عجز الفاعل، بل على أن النظام نفسه متعلق بالمشيئة والحكمة.

نفخة الروح: حدّ التحول النوعي

يفصل العطف بـ«ثم» بين طور الصلصال وبين قوله: «ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً». وهذه «ثم» ذات دلالتين متآزرتين: الترتيب في المشهد، والتفاوت في الرتبة. فما بعدها ليس مجرد درجة إضافية من يبوسة المادة، وإنما ظهور نمط جديد من الوجود تتبعه وظائف لم تكن منسوبة إلى الصورة قبلها. وقد عبّر القرآن عن هذا الحد في موضعين بصيغة متقاربة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩؛ ص: ٧٢]، ثم ربطه في سورة السجدة بالسمع والأبصار والأفئدة [السجدة: ٩].

لا يحمل «النفخ» هنا على انتقال هواء من فم أو حلول جزء من الذات الإلهية في الجسد؛ فذلك ممتنع في أصل التنزيه. فسّره الشيخ الطوسي على جهة التمثيل لإحداث الحياة، وبيّن أن إضافة الروح إلى الله إضافة ملك وتشريف، كما يقال «بيت الله» و«ناقة الله» (الطوسي، د.ت: ٣٣٣.٣٣٢/٦). وقرر الطبرسي المعنى نفسه، رابطاً النفخ بجريان الحياة في الصورة المسوّاة (الطبرسي، ١٤١٥هـ: ١١٤.١١٢/٦). وعلى الجانب السني، رفض الرازي توهم الجزئية، وعدّ الإضافة للتشريف والتعظيم (الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٨٢/١٩؛ ٢٢٨/٢٦). كما فهم ابن عاشور التعبير تمثيلاً لسرعة سريان الحياة في الجسد بعد التسوية، مع ما في الإضافة من تكريم (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ٤٤.٤٣/١٤).

وعلى هذا تتأسس نتيجة عقدية مشتركة: الروح مخلوقة، و«من» في «من روحي» لا تجعلها جزءاً من الله، وإنما تُبرز اختصاصها به خلقاً وملكاً وتشريفاً. وقد وصف ابن أبي الحديد النفخ بأنه استعارة لإفاضة النفس على البدن بعد استعداده، ثم ميّز بين البدن المركب والنفس التي بها الإدراك (ابن أبي الحديد، ١٣٧٨هـ: ١٠٠.٩٩/١). وربط ابن ميثم بين هذه الإضافة وبين شرف الروح وآثارها العقلية (البحراني، ١٤٢٠هـ: ١٨٩.١٨٧/١). تختلف لغة الشارحين بحسب أصولهما الفلسفية والكلامية، لكنهما يلتقيان عند نفي المعنى الحسي ونفي التجزئة.

وتحفظ الخطبة توازناً دقيقاً: تقول «من روحه» فترفع قدر الإنسان، لكنها تسبّق ذلك بذكر الطين وتنوعه وجفافه، فتمنع أن يتحول التكريم إلى تأليه. إن الإنسان لا يخرج من عبوديته بنفخة الروح، كما لا يسقط في المادية المحضة بسبب طينيته. هو مخلوق مزدوج الإشارة: يعود بجسده إلى الأرض، ويعود بحياته وقدرته العاقلة إلى فعل إلهي مخصوص بالتشريف.

من الصورة الصامتة إلى الذات الفاعلة

تجيب الجملة التالية عن السؤال: ما الأثر الذي ترتب على النفخ؟ «فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام والألوان والأجناس». فعل «مثلت» يعني قامت وانتصبت وظهرت في مثال الإنسان، لكنه لا يقتصر على الحركة الجسدية؛ إذ تفسره الصفات اللاحقة بوصفه قيام ذات صاحبة إدراك وفعل.

يمكن توزيع هذه الصفات على أربع دوائر مترابطة. الأولى الدائرة العقلية: «أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها». ليست للإنسان معلومات ساكنة فقط، بل قدرة على إعمال الذهن وتحريك الفكر بين الوجوه. والثانية الدائرة العملية: «جوارح يختدمها، وأدوات يقلبها»؛ أي يستخدم أعضاءه ويصرف أدواته بحسب القصد. والثالثة الدائرة المعرفية الأخلاقية: «معرفة يفرق بها بين الحق والباطل»، وهي أرفع من مجرد تمييز المحسوسات لأنها تدخل الإنسان في مجال الحكم والمسؤولية. والرابعة الدائرة الحسية التصنيفية: الأذواق والمشام والألوان والأجناس، أي استقبال المحسوس وتمييز أنواعه.

هذا الترتيب قريب بنيوياً من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [السجدة: ٩]. فالآية والخطبة لا تذكران النفخ معزولاً، بل تذكران آثاره في الإدراك. غير أن الخطبة توسع القائمة من منافذ المعرفة إلى نشاطها: الذهن يُجال، والفكر يتصرف، والجوارح تُستخدم، والمعرفة تفرّق. وبذلك تنتقل من تعداد الملكات إلى وصف الإنسان وهو يمارسها.

وفي عبارة «بين الحق والباطل» مركز ثقل أنثروبولوجي. فلو كان المقصود مجرد الحياة العضوية لكفى ذكر الحركة والحواس؛ أما إدخال الحق والباطل فيعني أن غاية البنية ليست البقاء البيولوجي وحده، بل الدخول في أفق الهداية والاختيار. ومن هنا تتصل قصة الخلق بما سيأتي في الخطبة نفسها من أمر الملائكة بالسجود وتعليم آدم وابتلائه. فالقدرة التي تُكرّم صاحبها هي عينها التي تجعله قابلاً للمساءلة.

البنية التكوينية في تفاسير الإماميّة

الشيخ الطوسي: اللغة والتنزيه ووحدة الأطوار

يتعامل الشيخ الطوسي مع آيات الحجر على مستويين متكاملين. ففي تفسير «الصلصال» و«الحمإ المسنون» يعرض الدلالات اللغوية والأقوال المروية، ويرجح ما ينسجم مع سياق تحول المادة. وفي تفسير «نفخت فيه من روحي» يصرف اللفظ عن ظاهره الحسي، فيجعل النفخ عبارة عن إحداث الحياة، والإضافة إضافة ملك وتشريف (الطوسي، د.ت: ٦/٣٢٨.٣٣٣). بذلك يحمي وحدة المشهد من طرفين: تفكك أوصاف المادة إلى أصول متعارضة، وتشبيه الفعل الإلهي بأفعال الأجسام.

وتلتقي قراءة الطوسي مع الخطبة في أن التسوية تسبق النفخ، وأن المادة تمر بأحوال قبل أن تصير صورة حية. إلا أن الخطبة أغزر في وصف التحول بالفعل، بينما ينصرف التفسير إلى رفع الإشكال اللغوي والعقدي. ويمكن القول إن وظيفة التفسير هنا «تحرير المفهوم»، ووظيفة الخطبة «تجسيد المسار»: الأول يشرح لماذا لا يكون النفخ حسياً، والثانية تجعل القارئ يشهد الفرق بين الصلصال الساكن والإنسان ذي الفكر والمعرفة.

الطبرسي: جمع الأقوال وربط النفخ بالحياة

يواصل الطبرسي في مجمع البيان منهج الجمع بين اللغة والحجة والرواية. فهو يفسر الصلصال بالطين اليابس المصوّت، ويعرض في «المسنون» وجوهاً تدور بين المصبوب المصوّر والمتغير، ثم يجعل النفخ كنايةً عن خلق الروح وإجراء الحياة، مع التصريح بأن الإضافة للتشريف (الطبرسي، ١٤١٥هـ: ٦/١١٢.١١٤). وتفيد هذه القراءة في أمرين: أنها تقبل تعدد الظلال المعجمية ما دامت تندرج في طور الطين؛ وأنها لا تفصل شرف الروح عن كونها مخلوقة.

ويظهر القرب من الخطبة في تعاقب: مادة، صورة، حياة. غير أن نص الإمام يضيف إلى «الحياة» مضموناً وظيفياً مفصلاً. ولذلك يمكن استخدام تفسير الطبرسي لتثبيت المعنى العقدي للنفخ، ثم استخدام الخطبة لبيان ما تثمره الحياة الإنسانية من إدراك حسي وعقلي وأخلاقي. فالتكامل بين النصين ليس تكراراً، بل انتقال من أصل المعنى إلى خريطته الوظيفية.

العلامة الطباطبائي: «خلقاً آخر» وهوية الإنسان

يمنح العلامة الطباطبائي للانتقال من التسوية إلى النفخ بعداً وجودياً أوضح. فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] يميز بين استمرار الأطوار الجسمانية وبين الإنشاء الذي يظهر به الإنسان في مرتبة جديدة، ويربط هويته بالنفس الإنسانية مع بقاء الصلة بالبدن (الطباطبائي، ١٤١٧هـ: ١٥/٢١). وفي تفسير آيات

سورة ص يجعل التسوية تعديل الأعضاء وإكمال البنية، والنفخ جعله ذا نفس حية إنسانية، ويؤكد أن إضافة الروح تشريفية (الطباطبائي، ١٤١٧هـ: ١٧/٢٢٤.٢٢٥).

تلتقي هذه القراءة بعمق مع «ثم... فمثلت إنساناً» في الخطبة. فالعبارة لا تقول إن الصورة ازدادت صلابة أو حركة فقط، بل إنها مثّلت «إنساناً» بخصائص لم تُذكر قبل النفخ. ومن هنا يصح وصف التحول بالنوعي، بشرط ألا يُفهم منه انفصال تام بين مرحلتي الإنسان؛ فالذات الإنسانية في الخطبة تستخدم جوارحها وأدواتها، أي إن فعلها الروحي يتحقق في تركيب جسدي.

وتبرز في المنظور الإمامي، عبر هؤلاء المفسرين، ثلاثة ثوابت: تعدد أوصاف الطين بحسب الحال، تنزيه فعل النفخ عن الجسمية، وربط الروح بالحياة الإنسانية المكرمة. أما التفاوت بينهم ففي درجة التوسع: الطوسي أقرب إلى تحرير اللفظ ودفع الشبهة، والطبرسي إلى جمع البيان اللغوي والحجة، والطباطبائي إلى استكشاف وحدة النفس والبدن وحدّ «الخلق الآخر».

البنية التكوينية في تفاسير أهل السنّة

الطبري: الرواية بوصفها ذاكرةً للأطوار

يعرض الطبري عند تفسير [الحجر: ٢٩.٢٦] طائفة من الأقوال المأثورة في الصلصال والحمإ المسنون، ويعيدها إلى مادة الطين التي تغيرت ثم يبست وصار لها صوت. كما ينقل ما يتعلق بتصوير آدم وتركه مدة قبل النفخ (الطبري، ١٤٢٢هـ: ١٤/٦٦.٥٦). وقيمة منهجه هنا أنه يحفظ الذاكرة التفسيرية المبكرة، ويظهر أن فهم الألفاظ بوصفها أحوالاً متعاقبة كان حاضراً في طبقات التفسير الأولى.

غير أن الروايات المتصلة بالمقادير أو بتفاصيل ما قبل النفخ ليست في رتبة واحدة من الثبوت؛ ولهذا لا يصح بناء الهيكل الأساسي عليها. الهيكل القطعي يُستخرج من القرآن: مادة أرضية، تسوية، نفخ. ثم تأتي الخطبة فتصف الفواصل الداخلية لهذا الهيكل من غير أن تلزم القارئ بمقدار زمني معين: «لوقت معدود وأمد معلوم». وهذه الصيغة أكثر احترازاً، لأنها تثبت التقدير الإلهي وتترك المقدار لما لم يرد فيه نص قاطع.

الفخر الرازي: من تفسير اللفظ إلى سؤال النفس

يناقش الرازي علاقة التراب بالطين والحمإ والصلصال، ويرى إمكان حملها على مراحل مختلفة لمادة واحدة. وعند «من روحي» يصرّح باستحالة أن تكون الروح جزءاً من الله، ويجعل الإضافة للتشريف، ثم يميز في آيات سورة ص بين التسوية الجسدية ونفخ الروح الذي به تظهر حقيقة الإنسان العاقل (الرازي، ١٤٢٠هـ: ١٩/١٨١.١٨٢؛ ٢٦/٢٢٨). وهنا تنتقل القراءة من فقه اللغة إلى مسألة النفس وامتياز الإنسان.

تكشف مقارنة الرازي بالطوسي أن الانتماء المذهبي لا يرسم خطاً بسيطاً بين «تفسير حرفي» و«تفسير عقلي». فكلاهما يمارس التأويل التنزيهي للنفخ، وكلاهما يجمع أوصاف المادة في مسار. ويميل الرازي إلى توسيع الأسئلة الفلسفية والكلامية، كما يميل الطباطبائي في مرحلة لاحقة إلى بناء تصور عن حقيقة النفس. لذلك فالمقارنة الدقيقة ينبغي أن تعقد بين المناهج داخل المدرستين أيضاً، لا أن تجعل كل مدرسة صوتاً واحداً.

ابن كثير: انتظام المأثور حول الأصل الواحد

يجمع ابن كثير عند آيات الحجر بين الألفاظ القرآنية والروايات التي تشرح تحولات طين آدم، ويقرر أن الصلصال هو الطين اليابس، وأن أصل الخلق واحد وإن تنوعت الأسماء بحسب الأحوال (ابن كثير، ١٤٢٠هـ: ٤/٥٣٣.٥٣٥). وعند آيات المؤمنون يميز بين خلق آدم من طين وخلق ذريته من سلالة، ثم يتابع أطوار الجنين إلى «خلقاً آخر» (ابن كثير، ١٤٢٠هـ: ٥/٤٦٥.٤٦٧). وهذه التفرقة تمنع خلط مسارين: الخلق المباشر للأصل الأول، والتناسل الإنساني بعده.

تفيد هذه القراءة في تحديد نطاق الخطبة؛ فهي تتحدث عن خلق آدم، لا عن تفصيل النطفة والعلقة والمضغة. ومع ذلك، فإن وصفه بـ«الإنسان» مشروع لأن آدم يحمل في خلقه النموذج الأول للسمات الإنسانية. والتمييز بين المسارين يجعل الدراسة أكثر انضباطاً، فلا تسقط مراحل الجنين على ألفاظ الخطبة ولا تجعل «الصلصال» وصفاً لكل فرد من ذريته من غير واسطة.

ابن عاشور: بلاغة التمثيل ووظيفة الإضافة

يتجه ابن عاشور إلى تحليل نظم الآيات، فيفسر «النفخ» تمثيلاً لإيداع الحياة في الجسد بعد تسويته، ويبرز ما في إضافة الروح إلى ضمير الجلالة من تشريف للمخلوق، لا من إثبات نسبة مادية إلى الخالق (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ١٤/٤٢.٤٦). كما يقرأ تنوع أوصاف المادة ضمن مقتضيات السياقات المختلفة: سياق الاحتجاج بالخلق، أو سياق تكريم آدم، أو سياق بيان القدرة.

وهذا الحس البلاغي يقربه من بناء الخطبة؛ فالمشهد فيها لا يعمل بمفرداته منفصلة عن ترتيبها. «ثم» و«حتى» و«الفاء» ليست روابط محايدة، بل ترسم إيقاع التحول: غاية بعد فعل، ونتيجة بعد إعداد، وفاصلة قبل النقلة النوعية. ومن ثم تتكامل قراءة ابن عاشور السياقية مع معطيات الطبري الروائية والرازي الكلامية؛ ويظهر مرة أخرى أن التفسير السني، كالتفسير الإمامي، فضاء مناهج متعددة لا قالب واحد.

الموازنة بين الخطبة وقراءات الفريقين

مساحة الاتفاق: أصول مشتركة لا هامش عابر

تكشف المقارنة أن مساحة الاتفاق في المسائل المركزية أوسع من الاختلاف. أولاً، الأصل الأرضي لآدم حقيقة نصية مشتركة، وألفاظ التراب والطين والحمإ والصلصال تُفهم على أنها جهات أو أطوار لمادة واحدة. ثانياً، التسوية سابقة على النفخ، فهي إعداد الصورة وإكمال أعضائها. ثالثاً، الروح مخلوقة، وإضافتها إلى الله إضافة اختصاص وتشريف، لا حلول ولا تجزؤ. رابعاً، النفخ حد ظهور الحياة الإنسانية وما يصحبها من إدراك. خامساً، لهذا التكريم أثر أخلاقي؛ فالإنسان الذي يعرف ويميز هو الإنسان الذي يخاطَب ويحاسَب.

ولا تعني هذه المشتركات إلغاء الفروق الكلامية بين المدارس في حقيقة النفس أو كيفية تعلقها بالبدن، لكنها تمنع تضخيم الخلاف في دلالة الآيات الأساسية. إن العبارة التي يمكن أن تلخص القاسم المشترك هي: مادة أرضية مسوّاة، أحياها الله بروح مخلوقة مكرّمة، فظهر منها الإنسان القادر على الإدراك والفعل. وهي عبارة تستوعب لبّ ما قرره الطوسي والطبرسي والطباطبائي، كما تستوعب لبّ ما قرره الطبري والرازي وابن كثير وابن عاشور.

مواضع الاختلاف: منهج البيان ودرجة التوسّع

يتوزع الاختلاف على ثلاثة مستويات. الأول المستوى الروائي: مقدار الاعتماد على أخبار تفاصيل الخلق، ولا سيما المدة التي بقيت فيها الصورة قبل النفخ. الطبري وابن كثير أوسع نقلاً، بينما تتجه قراءة تحليلية معاصرة إلى جعل النص القطعي أصلاً ووزن الأخبار بأسانيدها. الثاني المستوى المعجمي: الاختيار بين معاني «المسنون» وبيان الصلصال؛ وهي فروق لا تقلب المسار العام. الثالث المستوى الأنطولوجي: مقدار ما يقال في النفس وتجردها وصلتها بالبدن؛ ويتوسع فيه الرازي والطباطبائي وبعض شراح نهج البلاغة أكثر من غيرهم.

ومن المهم ألا يُصاغ الاختلاف في ثنائية مذهبية مختزلة، كأن يقال إن مدرسة عقلية بإزاء مدرسة نقلية. فالطوسي يمارس تحليلاً لغوياً وتنزيهاً كلامياً، والطبري يحفظ أقوال السلف، والرازي يثير أسئلة النفس، والطبرسي يجمع اللغة والحجة، وابن عاشور يقرأ النظم، والطباطبائي يبني وحدة فلسفية تفسيرية. لذلك تكون وحدة المقارنة الأدق هي «المسألة والمنهج»، لا «الطائفة والحكم المسبق».

ما الذي تضيفه الخطبة إلى الخريطة التفسيرية؟

لا تضيف الخطبة وحياً خارج القرآن، ولا تزاحم التفسير بوظيفته، لكنها تقوم بتركيب بلاغي معرفي متميز. فالقرآن يوزع عناصر القصة بحسب أغراض السور: بيان العداوة الإبليسية في الحجر وص، والاحتجاج بالقدرة في المؤمنون والسجدة، وإظهار النعمة في الرحمن. أما الخطبة فتجمع العناصر في مقطع واحد وتوصلها فوراً بوصف الإنسان. وبذلك تتحول المادة القرآنية الموزعة إلى «خريطة تكوينية» متصلة.

الإضافة الأولى هي تفصيل الوسائط بين التربة والصلصال: السنّ بالماء، والخلط بالبلة، واللزوجة، والجبل، والإجماد، والإصلاد. والإضافة الثانية هي إبراز الزمن المقدَّر من غير مغامرة بتحديده.

والإضافة الثالثة، وهي الأهم، توسيع أثر النفخ إلى منظومة وظائف: الذهن، والفكر، والعمل بالجوارح، وتقليب الأدوات، والمعرفة الفارقة، والحواس المصنفة. الخطبة بهذا لا تسأل فقط «كيف حيي الجسد؟»، بل «ما الذي صار إليه حين صار إنساناً؟».

من المادة المنفعلة إلى الذات المسؤولة

إذا رُصدت الأفعال قبل النفخ وبعده ظهر تحول نحوي دلالي لافت. قبل النفخ، تقع الأفعال على التربة والصورة: جُمعت، سُنّت، لِيطت، جُبلت، أُجمدت، أُصلدت. المادة مفعول بها في نظام القدرة. بعد النفخ، يُسند إلى الإنسان نشاط: يجيل ذهنه، ويتصرف بفكره، ويستخدم جوارحه، ويقلب أدواته، ويفرق بمعرفته. أي إن مركز الجملة ينتقل من المكوَّن الذي يُفعل به إلى الذات التي تفعل.

هذه النقلة لا تعني استقلال الإنسان عن خالقه؛ فالقدرة نفسها ثمرة الخلق. لكنها تؤسس المسؤولية: لأن الإنسان صار فاعلاً عن قصد، لم يعد وجوده مجرد وقوع تحت قوانين المادة. وفي هذا الضوء يمكن فهم جمع الخطبة بين «الأضداد المتعادية» و«المعرفة التي تفرق بين الحق والباطل». التكوين يهب الإنسان إمكانات وقوى متعارضة، والمعرفة والتكليف يوجهان استعمالها. فلا تكون الأخلاق شيئاً ملحقاً بالإنسان بعد تمامه، بل تظهر قابليتها في تعريف الخطبة لتمامه.

التواضع الأنطولوجي والكرامة الأخلاقية

يبني النص توازناً بين حدين قد ينفصلان في تصورات الإنسان: التواضع والكرامة. التواضع مصدره الطين، واختلاط المزاج، والحاجة إلى الماء والزمن والتسوية؛ والكرامة مصدرها الإضافة التشريفية للروح وما نتج عنها من معرفة. إذا أُخذ الحد الأول وحده صار الإنسان مادة بلا معنى، وإذا أُخذ الثاني وحده توهم الاستغناء أو الألوهية. أما الخطبة فتجعل كرامته مخلوقة ومسؤولة، وتجعل طينيته أساساً لوعي الحد لا ذريعة لاحتقاره.

وهذا التوازن ذو قيمة معاصرة. فهو يرفض العنصرية لأن اختلاف الألوان والأجناس داخل أصل واحد، ويرفض الجبر الأخلاقي لأن المعرفة والتمييز والعمل صفات مؤسسة في الإنسان، ويرفض احتقار الجسد لأن الأعضاء أدوات الفعل الإنساني، ويرفض تأليه الذات لأن الروح منسوبة إلى الله ملكاً وتشريفاً لا جزءاً. وبذلك يخرج النص من حدود قصة البداية إلى مبادئ في كرامة الإنسان ووحدته ومسؤوليته.

التكامل بين مستويات الدلالة

تسمح الموازنة باستخراج أربعة مستويات لا يستغني أحدها عن الآخر. أولها المستوى المعجمي الذي يحدد فروق التربة والطين والصلصال واللزوجة والتسوية. وثانيها المستوى التركيبي الذي يكشف وظيفة الفاء و«حتى» و«ثم» في ترتيب الغايات والنتائج. وثالثها المستوى العقدي الذي يصون التنزيه في معنى النفخ والإضافة. ورابعها المستوى الأنثروبولوجي الذي يسأل عما صار إليه المخلوق بعد اكتمال الصورة. وإذا اقتُصر على المعجم ضاعت وحدة الحركة، وإذا اقتُصر على الكلام غابت بلاغة المراحل، وإذا اقتُصر على الجسد غابت المعرفة والمسؤولية.

ومن هنا يمكن تفسير كثافة الخطبة من غير ادعاء أنها كتاب تفسير ترتيبي. فهي لا تشرح كل لفظ قرآني ولا تعرض أسانيد الأقوال، بل تنتقي من الحقل القرآني ما يخدم مقصدها في التعريف بالخالق وآثار حكمته. ولهذا تبدأ الأفعال باسم التنزيه «سبحانه» وتنتهي إلى الإنسان الذي يفرق بين الحق والباطل. المسافة بين الطرفين ليست انتقالاً من اللاهوت إلى موضوع مستقل عنه، بل بيان أن معرفة الإنسان بنفسه—بأصله وحدوده وقدرته—طريق إلى معرفة تدبير خالقه.

وتبين الموازنة أيضاً أن «الروح» لا تعمل في النص بديلاً عن الجسد. فالخطبة تنسب إلى الإنسان جوارح وأدوات وأذواقاً ومشامّ، وتجعل الفكر يجري في كائن مركب. وكذلك لا يعمل الجسد بديلاً عن الروح؛ لأن الصورة قبل النفخ لا تُسمى في السياق ذات ذهن ومعرفة. العلاقة إذن علاقة تكامل وظيفي داخل الموجود الإنساني، وإن بقي البحث الكلامي في حقيقة النفس وكيفية تعلقها بالبدن أوسع من دلالة المقطع المباشرة.

ويترتب على ذلك معيار في قراءة الشروح: يُقبل من المصطلحات الطبية أو الفلسفية ما يكشف وجهاً يدل عليه اللفظ،

ولا يُجعل الإطار التاريخي للشارح هو المعنى الوحيد للنص. فعندما يتحدث ابن أبي الحديد أو ابن ميثم عن المزاج والأخلاط، يفيدان في شرح اجتماع الكيفيات المتقابلة، لكن دلالة «الألوان المختلفة» و«الأضداد المتعادية» تظل أرحب من نظرية طبيعية مخصوصة. وبذلك يحافظ البحث على الإفادة من التراث من غير تجميد النص داخل علوم عصر واحد.

جدول ١. خلاصة الموازنة بين الخطبة وقراءات مفسري الفريقين

المحور	خلاصة الموازنة بين الخطبة والتفسيرين الإمامي والسنّي
المادة الأولى	تصف الخطبة تربة من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها، ويرى مفسرو الفريقين أن أوصاف التراب والطين والحمإ والصلصال أحوال لمادة أرضية واحدة؛ فالنتيجة اتفاق في الأصل مع تنوع الصفات.
مسار التكوين	تفصّل الخطبة الأفعال الوسيطة: الماء واللزوجة والجبل والأعضاء والجفاف والصلصلة، بينما تشرح التفاسير التسوية وتدرج الأوصاف؛ ولذلك تبدو الخطبة أكثر تكثيفاً للحركة الداخلية بين اسمَي الطين والصلصال.
الزمن	تثبت عبارة «لوقت معدود وأمد معلوم» أصل التقدير من غير تحديد، في حين تنقل بعض التفاسير، ولا سيما المأثورة، أخباراً في المدة؛ والحصيلة أن القطعي هو التدبير الزمني لا مقدار لم يثبت.
نفخ الروح	تتفق الخطبة والتفاسير الممثلة للفريقين في وقوع النفخ بعد اكتمال الصورة، وفي أن الروح مخلوقة وأن إضافتها إلى الله إضافة تشريف واختصاص، مع نفي الجسمية والجزئية.
أثر النفخ	يربط المفسرون النفخ بالحياة الإنسانية والإدراك والتكريم، وتنفرد الخطبة بتفصيل الأثر في الذهن والفكر والجوارح والحواس والتمييز بين الحق والباطل، فتحوّله إلى أنثروبولوجيا وظيفية.
منهج البيان	الخطبة تركيب خطابي مكثف بين المادة والوظيفة؛ أما التفاسير فتتوزع بين اللغة والرواية والحجة والكلام والبلاغة والنظر الفلسفي، ويظهر الاختلاف المنهجي داخل كل مدرسة بقدر ظهوره بين المدرستين.

المأخذ: إعداد الباحث بالاعتماد على نتائج التحليل المقارن.

النتيجة

تدل نتائج التحليل على أن مصطلح «البنية» ليس وصفاً خارجياً مفروضاً على النص، بل يستند إلى علامات داخلية واضحة: ترتيب العطف، وتكرار الغاية بـ«حتى»، وتقابل الأوصاف، وتغير موقع الإنسان من المفعولية إلى الفاعلية. ومن ثم لا يكفي شرح «الصلصال» أو «الروح» منفصلين؛ لأن المعنى الأتم يتولد من موقع كل منهما في السلسلة. فالصلصال يمثل أقصى اكتمال للمادة قبل الحياة، والروح تمثل بداية الفعل الإنساني بعد إعداد المادة.

وتبيّن المقارنة أن سؤال الروح هو أكثر المواضع قابلية لسوء الفهم، لكنه أيضاً أكثر مواضع الاتفاق. لم يقل المفسرون الممثلون للفريقين إن في الإنسان جزءاً إلهياً؛ بل قرروا أن الإضافة للتشريف والملك، وأن النفخ تمثيل لإحداث الحياة أو إفاضة النفس على البدن المستعد. وهذه النتيجة تُصحح قراءات شائعة تستخدم العبارة لإثبات حلول أو امتزاج لا يقبله التوحيد الإسلامي.

كما يظهر أن الخطبة تتجاوز الوصف الكوني إلى تأسيس أخلاقي. عبارة «يفرق بها بين الحق والباطل» ليست تفصيلاً زائداً في قائمة الحواس؛ إنها ذروة المسار. فالماء جعل التربة قابلة للتشكيل، والتسوية جعلت الصورة قابلة للحياة، ونفخ الروح جعل الإنسان قابلاً للمعرفة، والمعرفة جعلته قابلاً للتكليف. وبهذا تكون المسؤولية الأخلاقية ثمرة داخلية لبنية الخلق، لا عقداً خارجياً أضيف إلى كائن مكتمل من دونها.

وقد كشفت الدراسة أيضاً ضرورة التمييز بين خلق آدم وأطوار

ذريته. الخطبة تتناول الأصل الأول من تربة مباشرة، في حين تصف آيات المؤمنون مسار النطفة في الأرحام بعد الإشارة إلى السلالة من طين. الجمع بين المسارين جائز على مستوى وحدة الأصل، لكنه لا يبرر إسقاط تفاصيل أحدهما على الآخر. ومنهجياً، يمنع هذا التمييز تحويل النص إلى تقرير في علم الأجنة أو إدخال دعاوى علمية متغيرة في دلالته العقدية والبلاغية.

وأخيراً، يؤكد تنوع مناهج المفسرين أن الدراسة المقارنة المثمرة لا تبحث عن «فائز مذهبي»، بل عن توزيع وظائف المعرفة: الرواية تحفظ الأقوال المبكرة، واللغة تحدد إمكانات اللفظ، والكلام يصون التنزيه، والبلاغة تكشف أثر النظم، والنظر الفلسفي يسأل عن هوية الإنسان. تتكامل هذه الوظائف حين تُضبط بالنص، وتتحول إلى تنازع حين يُستبدل الدليل بالتصنيف المسبق.

النتائج المستخلصة

١. صاغت الخطبة الأولى مشهد خلق آدم في بنية متدرجة تتألف من ثلاث طبقات كبرى: المادة الأرضية المختلفة، والتسوية المادية المقدرة، والتحول النوعي بنفخ الروح إلى إنسان ذي إدراك وفعل.

٢. لا تمثل ألفاظ التراب والطين والحمإ والصلصال أصولاً متعارضة؛ بل تصف المادة بحسب أصلها أو حالها، وهو اتجاه تتلاقى عليه الخطبة وجمهور المفسرين الممثلين للفريقين.

٣. يؤدي الماء في بنية الخطبة وظيفة التحويل من التفكك إلى التماسك والقابلية للتصوير، بينما تؤدي مرحلتا الإجماد والإصلاد وظيفة إعداد الصورة للحد الفاصل الذي يعقبه النفخ.

٤. عبارة «لوقت معدود وأمد معلوم» تثبت أن التدرج والزمن داخلان في التدبير، من غير أن تسوّغ اعتماد مقادير زمنية لم تثبت بدليل معتبر.

٥. اتفق مفسرو الإمامية وأهل السنّة الذين تناولتهم الدراسة على أن الروح مخلوقة، وأن إضافتها إلى الله إضافة تشريف واختصاص، وأن النفخ لا يحمل على معناه الجسمي ولا يدل على حلول جزء إلهي في الإنسان.

٦. تتركز الفروق بين المفسرين في منهج البيان ودرجة التوسع: الرواية عند الطبري وابن كثير، والتحليل الكلامي عند الطوسي والرازي، والجمع اللغوي الحجاجي عند الطبرسي، والنظم السياقي عند ابن عاشور، والتحليل الوجودي لهوية الإنسان عند الطباطبائي.

٧. تتمثل فرادة الخطبة في أنها تصل مراحل التكوين بوظائف الذهن والفكر والجوارح والحواس والمعرفة الأخلاقية؛ فتحول قصة الخلق إلى أنثروبولوجيا للإنسان العاقل العامل المكلَّف.

٨. تكشف البنية عن توازن بين التواضع الأنطولوجي والكرامة الأخلاقية: الإنسان طينيّ المنشأ، لكنه مكرم بقدرة مخلوقة على المعرفة والتمييز؛ ولذلك لا تسوّغ طينيته احتقاره ولا تسوّغ نفخة الروح تأليهه.

٩. يفتح هذا التوازن مجالاً لدراسات بينية لاحقة في أخلاق الجسد، ووحدة النوع الإنساني، وعلاقة المعرفة بالتكليف في نهج البلاغة، شريطة إبقاء النص بعيداً عن المطابقات العلمية المتعجلة.

المقترحات

تقترح الدراسة توسيع المقارنة إلى سائر مقاطع خلق الإنسان في نهج البلاغة، وربطها بمباحث الكرامة ووحدة النوع الإنساني والتكليف، مع اعتماد مدونة تفسيرية أوسع من المدرستين.

كما تقترح بناء فهرس دلالي رقمي لألفاظ الخلق في نهج البلاغة وشروحه، يتيح تتبّع انتقال المصطلح من القرآن إلى الخطبة ثم إلى الشروح، من غير إسقاط للمفاهيم العلمية المتغيرة على النصوص العقدية والبلاغية.

وتوصي الدراسة بأن تُفرد أبحاث لاحقة لمسألة العلاقة بين تكوين الحواس وظهور المسؤولية الأخلاقية في كلام الإمام علي عليه السلام، لما لهذا المحور من قيمة بينية في التفسير والأخلاق وعلم الإنسان.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م). **شرح نهج البلاغة**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **تفسير القرآن العظيم. تحقيق سامي بن محمد سلامة**، ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤هـ). **لسان العرب**. ط٣، بيروت: دار صادر.

أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت). **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

البحراني، ميثم بن علي (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **شرح نهج البلاغة**. ط١، بيروت: دار الثقلين.

الترمذي، محمد بن عيسى (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). **سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر**، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

حدادي، إلهام؛ درودگريان، فرهاد، (٢٠٢٢م)، «تحليل النموذج المبدئي لـ«التكبر» في بناء نظرة عالمية سردية؛ رواية الخطبة القاصعة من نهج البلاغة»، **دراسات حديثة في نهج البلاغة**، المجلد ٥، العدد ١، صص ٦٣-٧٥. DOI: 10.30473/anb.2022.61613.1294

الرازي، محمد بن عمر فخر الدين (١٤٢٠هـ). مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٤١٢هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق–بيروت: دار القلم والدار الشامية.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). **نهج البلاغة**. ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية صبحي الصالح، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الطباطبائي، محمد حسين (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **الميزان في تفسير القرآن**. ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبرسي، الفضل بن الحسن (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). **مجمع البيان في تفسير القرآن**. تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، القاهرة: دار هجر.

الطوسي، محمد بن الحسن (د.ت). **التبيان في تفسير القرآن**. تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

عمران، منتجب، (٢٠٢٣م)، «الإنسان المثال في مرآة نهج البلاغة: النبي محمد أنموذجاً، دراسة فنية أسلوبية»، **دراسات في اللغة العربية وآدابها**، المجلد ١٣، العدد ٣٦، صص ٨٩-١١٢. DOI: 10.22075/lasem.2023.7790

عموري، نعيم؛ فاضل، فاطمة، (٢٠١٨م)، «الأسلوبية في الخطبة الأولى للإمام علي عليه السلام»، **مجلة الكلية الإسلامية الجامعة**، المجلد ١، العدد ٥٠، صص ٢٧١-٢٩٠.

فياض، مرضية؛ مطيع، مهدي؛ حاجي إسماعيلي، محمد رضا، (٢٠٢١م)، «دراسة علاقات التناص بين القرآن والخطبة رقم ١٠٩ من نهج البلاغة في مجال الأسماء والصفات الإلهية»، **دراسات حديثة في نهج البلاغة**، المجلد ٤، العدد ١، صص ٧١-٨٤. DOI: 10.30473/anb.2021.55572.1232

الكناني، مخلص عبد الزهرة رحيم، (٢٠٢٣م)، «ألفاظ أطوار خلق الإنسان ودلالاتها في نهج البلاغة»، **مجلة كلية الفقه**، المجلد ٢، العدد ٤٣، صص ٧٩-١٠٢. DOI: 10.36324/fqhj.v2i43.16043

نجاتي، مينا؛ عبد الله زاده آراني، رحمة الله؛ مناقب، سيد مصطفى، (٢٠٢٢م)، «تحليل علاقات التناص بين القرآن ونهج البلاغة مع التأكيد على النفي المتوازي في الرسالة ٤٥»، **دراسات حديثة في نهج البلاغة**، المجلد ٥، العدد ٢، صص ٤٧-٥٩. DOI: 10.30473/anb.2023.63805.1317

References

The Holy Qur'an.

Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash'ath. (n.d.). *Sunan Abi Dawud* [The Sunan of Abu Dawud] (Ed. Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid). Beirut: Al-Maktabah al-'Asriyyah. [In Arabic]

Al-Bahrani, Maytham ibn 'Ali. (1420 AH / 1999 CE). *Sharh Nahj al-Balaghah* [Commentary on Nahj al-Balaghah] (1st ed.). Beirut: Dar al-Thaqalayn. [In Arabic]

Al-Kinani, Mukhlis 'Abd al-Zahrah Rahim. (2023 CE). "Terms Denoting the Stages of Human Creation and Their Significations in Nahj al-Balaghah." *Journal of the College of Jurisprudence (Majallat Kulliyyat al-Fiqh)*, Vol.

Amuri, Na'im, & Fadil, Fatimah. (2018 CE). "Stylistics in the First Sermon of Imam 'Ali (Peace Be Upon Him)." *Journal of the Islamic University College (Majallat al-Kulliyyah al-Islamiyyah al-Jami'ah)*, Vol. 1, Issue 50, pp. 271–290. [In Arabic]

Imran, Muntajab. (2023 CE). "The Ideal Human in the Mirror of Nahj al-Balaghah: The Prophet Muhammad as a Model—An Artistic and Stylistic Study." *Studies in Arabic Language and Literature (Dirasat fi al-Lughah al-'Arabiyyah wa Adabiha)*, Vol. 13, Issue 36, pp. 89–112. DOI: 10.22075/lasem.2023.7790. [In Arabic]

2, Issue 43, pp. 79–102. DOI: 10.36324/fqhj.v2i43.16043. [In Arabic]

Al-Raghib al-Isfahani, al-Husayn ibn Muhammad. (1412 AH). *Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an* [Vocabulary of Uncommon Qur'anic Terms] (Ed. Safwan 'Adnan al-Dawudi, 1st ed.). Damascus–Beirut: Dar al-Qalam and al-Dar al-Shamiyyah. [In Persian]

Al-Razi, Muhammad ibn 'Umar Fakhr al-Din. (1420 AH). *Mafatih al-Ghayb (Al-Tafsir al-Kabir)* [The Keys to the Unseen / The Great Exegesis] (3rd ed.). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi. [In Persian]

Al-Sharif al-Radi, Muhammad ibn al-Husayn. (1387 AH / 1967 CE). *Nahj al-Balaghah* [The Peak of Eloquence] (Text edited and indexed by Subhi al-Salih, 1st ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani. [In Arabic]

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (1422 AH / 2001 CE). *Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an* [The Comprehensive Collection of Elucidation on the Interpretation of the Verses of the Qur'an] (Ed. 'Abd Allah ibn 'Abd al-Muhsin al-Turki in cooperation with the Center for Arab and Islamic Research and Studies at Dar Hajr, 1st ed.). Cairo: Dar Hajr. [In Persian]

Al-Tabarsi, al-Fadl ibn al-Hasan. (1415 AH / 1995 CE). *Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an* [The Compendium of Elucidation in the Exegesis of the Qur'an] (Ed. by a committee of scholars and specialized investigators, 1st ed.). Beirut: Al-A'lami Foundation for Publications. [In Persian]

Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. (1417 AH / 1997 CE). *Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an* [The Balance in the Exegesis of the Qur'an] (1st ed.). Beirut: Al-A'lami Foundation for Publications. [In Persian]

Al-Tirmidhi, Muhammad ibn 'Isa. (1395 AH / 1975 CE). *Sunan al-Tirmidhi* [The Sunan of al-Tirmidhi] (Ed. Ahmad Muhammad Shakir, Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, & Ibrahim 'Atwah 'Awad, 2nd ed.). Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Printing Press Company. [In Persian]

Al-Tusi, Muhammad ibn al-Hasan. (n.d.). *Al-Tibyan fi Tafsir al-Qur'an* [The Elucidation in the Exegesis of the Qur'an] (Ed. Ahmad Habib Qasir al-'Amili). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi. [In Persian]

Fayyad, Mardiyyah, Muti', Mahdi, & Haji Isma'ili, Muhammad Rida. (2021 CE). "A Study of Intertextual Relations Between the Qur'an and Sermon 109 of Nahj al-Balaghah in the Domain of Divine Names and Attributes." *Modern Studies in Nahj al-Balaghah (Dirasat Hadithah fi Nahj al-Balaghah)*, Vol. 4, Issue 1, pp. 71–84. DOI: 10.30473/anb.2021.55572.1232. [In Persian]

Haddadi, Elham, & Doroudgarian, Farhad. (2022 CE). "Analysis of the Archetype of 'Arrogance' (al-Takabbur) in Constructing a Narrative Worldview: The Narrative of the Qasi'ah Sermon in Nahj al-Balaghah." *Modern Studies in Nahj al-Balaghah (Dirasat Hadithah fi Nahj al-Balaghah)*, Vol. 5, Issue 1, pp. 63–75. DOI: 10.30473/anb.2022.61613.1294. [In Persian]

Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984 CE). *Al-Tahrir wa al-Tanwir: Tahrir al-Ma'na al-Sadid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid* [The Verification and Enlightenment: Verifying the Sound Meaning and Enlightening. [In Arabic]

Ibn Abi al-Hadid, 'Abd al-Hamid ibn Hibat Allah. (1378 AH / 1959 CE). *Sharh Nahj al-Balaghah* [Commentary on Nahj al-Balaghah] (Ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 1st ed.). Cairo: Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah, 'Isa al-Babi al-Halabi and Partners. [In Arabic]

Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar. (1420 AH / 1999 CE). *Tafsir al-Qur'an al-'Azim* [Exegesis of the Great Qur'an] (Ed. Sami ibn Muhammad Salamah, 2nd ed.). Riyadh: Dar Taybah for Publishing and Distribution. [In Arabic]

Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. (1414 AH). *Lisan al-'Arab* [The Tongue of the Arabs] (3rd ed.). Beirut: Dar Sader. [In Arabic]

Najati, Mina, 'Abd Allah Zadeh Arani, Rahmat Allah, & Manaqib, Sayyid Mustafa. (2022 CE). "Analysis of Intertextual Relations Between the Qur'an and Nahj al-Balaghah with Emphasis on Parallel Negation in Letter 45." *Modern Studies in Nahj al-Balaghah (Dirasat Hadithah fi Nahj al-Balaghah)*, Vol. 5, Issue 2, pp. 47–59. DOI: 10.30473/anb.2023.63805.1317. [In Persian]

the New Mind in the Exegesis of the Glorious Book]. Tunis: Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال نهم، شماره دوم، پیاپی هجدهم، بهار و تابستان ۱۴۰۵ (۸۱-۹۶)
DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514

«مقاله پژوهشی»

از گل تا نفخه روح: ساختار تکوینی انسان در خطبه نخست نهج‌البلاغه و آرای مفسران فریقین

یاسر خلیل ابراهیم السعیدی[1*]، کاظم قاضی‌زاده[2]، کاوس روحی برندق[3]

۱. دانشجوی دکتری علوم قرآن و حدیث، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه تربیت مدرس، تهران، ایران.
۲. دانشیار گروه علوم قرآن و حدیث، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه تربیت مدرس، تهران، ایران.
۳. دانشیار گروه علوم قرآن و حدیث، دانشکده علوم انسانی، دانشگاه تربیت مدرس، تهران، ایران.

نویسنده مسئول:
یاسر خلیل ابراهیم السعیدی
رایانامه: alyasser.2013.25@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۶/۰۵
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۶/۰۷

چکیده

خطبه نخست نهج‌البلاغه آفرینش آدم را در زنجیره‌ای منسجم بازمی‌نماید که از خاک ناهمگون آغاز می‌شود، با آمیختن آب، چسبندگی، صورت‌بخشی، خشک‌شدن و استواری ادامه می‌یابد و با نفخ روح و ظهور ذهن، اندیشه، حواس، کنش و قدرت تشخیص حق از باطل به نقطه اوج می‌رسد. پژوهش حاضر با روش توصیفی—تحلیلی و رویکرد تطبیقی، معماری درونی این زنجیره را بازسازی کرده و آن را با تفسیرهای برگزیده امامیه و اهل‌سنّت از آیات آفرینش در سوره‌های حجر، مؤمنون، سجده، ص و الرحمن سنجیده است. یافته‌ها نشان می‌دهد که خطبه تنها تعبیرهای پراکنده قرآنی را تکرار نمی‌کند، بلکه آن‌ها را در الگویی سه‌لایه سامان می‌دهد: ماده زمینی، تسویه سنجیده و گذار کیفی به فاعل انسانی مسئول. میان مفسران دو مکتب درباره اصل زمینی آدم، مخلوق‌بودن روح، تشریفی‌بودن اضافه «روح» به خدا و پیوند نفخ با پیدایش حیات و ادراک، همگرایی گسترده‌ای وجود دارد. تفاوت‌ها بیشتر به روش تبیین و میزان بهره‌گیری از روایت، زبان، کلام، بلاغت یا فلسفه بازمی‌گردد. امتیاز ویژه خطبه آن است که تکوین جسم را بی‌واسطه با انسان‌شناسیِ ذهن، حواس، عمل و تشخیص اخلاقی پیوند می‌زند و میان فروتنی برخاسته از منشأ گِلی و کرامت حاصل از عطیه الهی تعادل برقرار می‌سازد. بر این اساس، انسان در منطق خطبه موجودی زمینی، آگاه، مسئول و برخوردار از کرامتی مخلوق است.

واژه‌های کلیدی

نهج‌البلاغه، خطبه نخست، آفرینش انسان، گِل، نفخ روح، تفسیر تطبیقی، مفسران فریقین.

استناد به این مقاله:

السعیدی، یاسر خلیل ابراهیم؛ قاضی‌زاده، کاظم و روحی برندق، کاوس. (۱۴۰۵). از گل تا نفخه روح: ساختار تکوینی انسان در خطبه نخست نهج‌البلاغه و آرای مفسران فریقین. *دراسات حديثة في نهج‌البلاغة*، ۹(۲)، ۸۱-۹۶.
(DOI: 10.30473/anb.2026.79241.1514)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۵ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)